العلاقة بين التمكين والوقف الخيري

في قصة ذي القرنين: دراسة موضوعية

إعداد الدكتورة

شموخ عبد الله سعيد القرني

أستاذ مساعد، قسم الثقافة الإسلامية،

كلية التربية والتنمية البشرية، جامعة بيشة

المملكة العربية السعودية

العلاقة بين التمكين والوقف الخيري في قصة ذي القرنين: دراسة موضوعية

شموخ عبد الله سعيد القرني

قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية والتنمية البشرية، جامعة بيشة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: sqarni@ub.edu.sa

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع: العلاقة بين التمكين في قصة ذي القرنين والوقف الخيري، من خلال دراسة موضوعية للآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ في سورة الكهف، وبيان العلاقة التكاملية بين مفهومي التمكين والوقف الخيري في ضوء هذه الآية الكريمة. وقد اقتضت طبيعة البحث أن أستخدم المنهج الاستقرائي التحليلي حيث بدأتُ بتحليل مفهوم التمكين في القرآن الكريم لغةً واصطلاحًا، وأنواعه وأسبابه وشروطه، مع عرض نماذج من التمكين في قصص الأنبياء والصالحين. ثم ينتقل إلى تفسير الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ من خلال بيان سياقها وأقوال المفسرين فيها ودلالاتها التفسيرية والعبر المستفادة منها. بعد ذلك يتناول البحث مفهوم الوقف في الإسلام وأحكامه وأنواعه، ويبرز العلاقة بين التمكين والوقف في ضوء الآية الكريمة، حيث يظهر أن العلاقة بين التمكين والوقف علاقة ترابطية قوية ومتعددة الأوجه، وليست تلازمية حتمية. وقد خلص البحث إلى أن التمكين منحة إلهية تستوجب الشكر، وأن الوقف من أهم صور هذا الشكر، وأن العلاقة بينهما تكاملية تسهم في تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع، كما كشف التفسير الموضوعي لهذه الآية الكريمة عن مبدأ قرآني عظيم، وهو أن التمكين الذي لا يتحول إلى وقفيةٍ نفعيةٍ خالصة لوجه الله عز وجل هو تمكين ناقص أو مُعرض للزوال، أما التمكين الذي يقترن بالوقف فهو الذي يثمر العمران، ويخلّد الذكر، ويحقق مراد الله في الأرض.

الكلمات المفتاحية: التمكين، الوقف، ذو القرنين، التفسير الموضوعي.

The Relationship Between Empowerment and Charitable Endowment in the Story of Dhul-Qarnayn: An Objective Study

Shumoukh Abdullah Saeed Al-Qarni
Assistant Professor, Shumukh Abdullah Saeed Al-Qarni
Department of Islamic Culture, College of Education and Human Development, Bisha University, Bisha, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: sqarni@ub.edu.sa

Abstract:

This research addresses the relationship between empowerment in the story of Dhul-Qarnayn and charitable endowment (waqf), through an objective study of the noble verse: ﴿He said: 'That in which my Lord has established me is better' ﴾in Surat Al-Kahf, and clarifying the complementary relationship between the concepts of empowerment and charitable endowment in light of this noble verse. The research begins by analyzing the concept of empowerment in the Holy Quran linguistically and terminologically, its types, causes, and conditions, with examples of empowerment from the stories of prophets and righteous people. Then, it moves to interpret the noble verse: ﴿He said: 'That in which my Lord has established me is better' ﴾by explaining its context, the sayings of exegetes regarding it, its interpretive connotations, and the lessons learned from it. After that, the research discusses the concept of waqf in Islam, its rulings, and types, and highlights the relationship between empowerment and waqf in light of the noble verse, showing that the relationship between empowerment and waqf is a strong and multifaceted interconnected relationship, not a necessary concomitance. The research concluded that empowerment is a divine grant that necessitates gratitude, and waqf is one of the most important forms of this gratitude, and that the relationship between them is complementary, contributing to comprehensive community development. The objective interpretation of this noble verse also revealed a great Quranic principle: that empowerment which does not transform into a purely beneficial endowment for the sake of Allah Almighty is incomplete empowerment or prone to decay, whereas empowerment coupled with waqf is what yields civilization, immortalizes remembrance, and fulfills Allah's will on Earth.

.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يُعد القرآن الكريم مصـــدر الهداية الأول للبشـــرية، وكنزاً لا ينضـــب من المعاني والدلالات التي تنير للإنسان طريق الحياة.

ومن بين المفاهيم القرآنية المهمة التي تســتحق البحث والدراســة مفهوما (التمكين والوقف)، وهما مفهومان متكاملان يرتبطان بعلاقة وثيقة في ضـــوء الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

تأتي أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على العلاقة التكاملية بين التمكين الذي يمنحه الله تعالى لعباده، وبين الوقف الذي يمثل أحد أوجه الإنفاق في ســبيل الله والصــدقة الجارية.

فالتمكين منحة إلهية وقوة ربانية تستوجب الشكر والعرفان، والوقف صورة من صور هذا الشكر وتجسيد عملي للاستخلاف في الأرض.

وتتجلى هذه العلاقة بوضــوح في قصــة ذي القرنين في ســورة الكهف، حيث قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾، فقد أدرك ذو القرنين أن التمكين الذي منحه الله إياه هو خير من كل عطاء، وأن شــكر هذه النعمة يكون بتســخيرها لنفع الناس وإقامة العدل بينهم، وهو ما يمثل جوهر فكرة الوقف في الإسلام.

يهدف هذا البحث إلى دراســة العلاقة بين التمكين والوقف الخيري من خلال تفســير

الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ دراسة موضوعية، وبيان كيف يمكن أن يكون التمكين سببًا للوقف، وكيف يمكن أن يكون الوقف ثمرة من ثمار التمكين.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال جمع النصوص التفسيرية المتعلقة بالآية الكريمة، وتحليلها واستنباط العلاقة بين التمكين والوقف في ضوئها، مع الاستعانة بالمصادر والمراجع العلمية المتخصصة في هذا المجال.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول الفجوة المعرفية في فهم العلاقة التكاملية بين مفهومي "التمكين" و"الوقف" في ضوء الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾، من سورة الكهف، وكيفية استثمار هذه العلاقة في تطوير نظام وقفي معاصر يسهم في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمعات الإسلامية.

فعلى الرغم من وفرة الدراسات التفسيرية حول الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾، والدراسات المتخصصة في مجالي التمكين والوقف كلٍ على حدة، إلا أن هناك فجوة بحثية واضحة تتمثل في غياب دراسة تفسيرية موضوعية متخصصة تربط بين المفهومين في سياق الآية وتستخلص الأبعاد النظرية والتطبيقية لهذه العلاقة. فمعظم الدراسات التفسيرية تناولت الآية ضمن سياق قصة ذي القرنين دون التعمق في تحليل العلاقة بين التمكين الذي منحه الله له والنموذج الوقفي الذي قدمه من خلال بناء السد.

كما أن الدراسات المتخصصة في مجال الوقف الإسلامي ركزت بشكل أساسي على الجوانب الفقهية والتطبيقية دون ربطها بمفهوم التمكين القرآني، مما أدى إلى قصور في فهم الأساس القرآني للعلاقة التكاملية بين المفهومين. وفي المقابل، اهتمت دراسات التمكين بالجوانب السياسية والاقتصادية دون إبراز علاقته بالوقف كآلية تنموية مستدامة.

وتزداد أهمية هذه الإشكالية في ظل التحديات المعاصرة التي تواجه المؤسسات الوقفية في العالم الإسلامي، والحاجة إلى تأصيل قرآني لمفهوم التمكين المؤسسي للأوقاف، وتطوير نماذج إدارية وتنموية مستوحاة من النموذج القرآني.

ويتفرع من هذه المشكلة سؤال رئيسي وعدة أسئلة فرعية:

السؤال الرئيسي: ما طبيعة العلاقة بين مفهومي التمكين والوقف في ضوء الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾؟

الأسئلة الفرعية:

١. ما المقصود بالتمكين في القرآن الكريم، وما أنواعه وأسبابه وشروطه؟

٢. ما التفسير الصحيح للآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ في ضوء أقوال المفسرين؟

٣. ما مفهوم الوقف في الإسلام، وما أحكامه وأنواعه؟

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم التمكين في القرآن الكريم

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية للآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾

المبحث الثالث: مفهوم الوقف وعلاقته بالتمكين

نسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

التمهيد

يُعد ذو القرنين من الشخصيات القرآنية الملهمة التي أُشير إليها في سياقٍ من المدح والتمكين، وقد خُصّ بسياق قصصي في سورة الكهف، عُرضت فيه ملامح من قيادته وسياسته وعدله، مما جعله نموذجًا يُحتذى به للقيادة الرشيدة التي تجمع بين القوة والرحمة، وبين التمكين والتواضع، وبين العمل والنية الصالحة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤] ذكر القرآن مسيرة ذي القرنين في الأرض شرقًا وغربًا، واهتمامه بإقامة العدل، ودفع الفساد، والاستجابة لحاجات الأمم التي عجزت عن حماية نفسها، فبنى لهم سدًا عظيمًا بين السدين، مانعًا يأجوج ومأجوج من الإفساد في الأرض.

واختلف العلماء في تحديد شخصيته التاريخية، والعبرة ليست بذلك، بل بما قدمه القرآن من صفاته وأعماله، بوصفه نموذجًا للحاكم المصلح الذي يسير بالأسباب، ويستثمر التمكين لنفع البشرية، لا لبسط الهيمنة.

وقد تميز ذو القرنين بخصالٍ قيادية وإيمانية جعلته يقابل القوة بالتواضع، والحاجة بالبذل، حيث رفض المقابل المادي لبناء السد، وقال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، وفي هذا التصرف تتجلى روح الوقف الخيري، إذ لم يُرد عوضًا ماديًا، بل وظّف التمكين الذي وهبه الله تعالى إياه في نفع الناس، وتحقيق المصالح العامة، وإقامة جدار أمني لحماية المستضعفين، دون انتظار مقابل.

ومن هنا، فإن التأمل في قصة ذي القرنين يكشف عن علاقة عميقة بين التمكين الرباني والعمل الوقفي الخيري، حيث يتحول التمكين من وسيلة سلطة إلى مشروع حماية وبناء،

يتجاوز حدود الذات إلى نفع الآخرين، وهو ما يمثل منهجًا قرآنيًا متكاملاً في إدارة القوة والثروة والقدرة، في ضوء المقاصد العليا للشريعة.

المبحث الأول:

مفهوم التمكين في القرآن الكريم

أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتمكين:

التمكين في اللغة:

التمكين في اللغة: مصدر للفعل (مكَّن)، وهو مشتق من مادة (م ك ن) التي تدل على القوة والثبات والرسوخ. و(مكن) فلَان عِنْد النَّاس مكانة عظم عِنْدهم فَهُوَ مكين مكناء وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، و(أمكنه) من الشَّيْء جعل لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانا وقدرة وَالْأَمر فلَانًا سهل عَلَيْهِ وتيسر لَهُ وَيُقَال فلَان لَا يُمكنهُ النهوض لَا يقدر عَلَيْهِ، و(مكن) لَهُ فِي الشَّيْء جعل لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانا وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤]، وَالثَّوْب خاطه بمكنة الْخياطَة (مج) وَفُلَانًا من الشَّيْء أمكنه مِنْهُ، و(تمكن) عِنْد النَّاس علا شَأْنه وَالْمَكَان وَبِه اسْتَقر فِيهِ وَمن الشَّيْء قدر عَلَيْهِ أَو ظفر بِهِ، و(استمكن) من الشَّيْء تمكن[1].

جاء في لسان العرب: "مكن: المكان: الموضع. والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع... وتمكن من الشيء واستمكن: قدر عليه... ومكنه الله من الشيء وأمكنه منه: جعل له عليه سلطانًا وقدرة"[2].

ومكنة من الشيء وأمكنه منه: أقدره عليه، ومنه الحديث: " ثم أمكن يديه من

(١) انظر المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) (٢/ ٨٨١)، دار الدعوة.

(٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على بن منظور، (١٣/ ٣٦٥)، دار صادر/ بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

ركبتيه"[١] أي: مكنهما من أخذهما والقبض عليهما[٢].

التمكين في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح: فالتمكين بمعنى (القدار) وبهذا المعنى ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم، ففي سورة الحج في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. وبمناسبة الحديث عن ذي القرنين في سورة الكهف قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤][٣].

ويمكن تعريف التمكين اصطلاحًا بأنه: "منزلة رفيعة يهبها الله سبحانه وتعالى للصالحين من عباده بعد صبرهم على الابتلاءات والمحن، فتسمو مكانتهم، وتعلو كلمتهم، ويسود شرعهم، وتمتلئ الدنيا بنورهم عدلاً، وبهديهم إحسانًا وبراً"[٤].

ثانياً: ورود مصطلح التمكين ومشتقاته في القرآن الكريم:

ورد لفظ التمكين ومشتقاته في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعًا، وغلبت عليها الصيغة الفعلية التي يبدو فيها التمكين كأنه صيرورة وليس مفهومًا ساكنًا، ويشير لفظ

---

(١) أخرجه البخاري محمد بن إسماعيل في: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري (١/ ١٦٥)، رقم (٨٢٨)، كتاب: الأذان، باب: سنة الجلوس في التشهد، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) المغرب: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (١/ ٤٤٥)، دار الكتاب العربي، بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٣) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر (١/ ١٦١).

(٤) انظر مزيدًا من التفصيل: موقع مودة الإلكتروني، مقال بعنوان "التمكين"، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٢٥. الرابط: https://modoee.com/books/text/320_20190626071733.html.

التمكين إلى منح القدرة والسيطرة والاستقرار في الأرض، وفيها ينسب الله تعالى التمكين إلى ذاته العلية.

ومن الآيات التي ورد فيها مصطلح التمكين ومشتقاته:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

٢- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

٣- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤-٨٥].

٥- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

٦- قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

ثالثاً: أنواع التمكين في القرآن الكريم:

يمكن تقسيم التمكين كما ورد في السياقات القرآنية من عدة زوايا:

١. من حيث موضوع التمكين:

التمكين للإنسان في الأرض (المستوى الحسي المادي): وفيه يتم تمكين الإنسان من التصرف في الأرض ويُمنح القدرة على جعلها مستقراً ومعاشاً (الوظيفة الاستخلاصي)،

ويندرج تحته تمكين المال والقوة والنسل، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

التمكين للشيء (الدين، والقوة، والمال) (المستوى الروحي): وفيه يتم التمكين عبر المستوى الروحي، حيث يفضي التمكين للدين إلى تحقيق الأمن للإنسان. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

٢. من حيث الفئة المستهدفة:

التمكين الفردي: وهو تمكين الله تعالى لبعض الأفراد، كما في تمكينه ليوسف وسليمان وذي القرنين. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [يوسف: ٥٦].

التمكين الجماعي: وهو تمكين الله تعالى للأمم والشعوب، كما في تمكينه للأمة الإسلامية. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

٣. من حيث المستفيد:

تمكين المؤمنين: وهو تمكين الله تعالى للمؤمنين الذين يستوفون شروط التمكين. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

تمكين الكافرين: وهو تمكين الله تعالى للكافرين وفق سنن الابتلاء والاستدراج. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

رابعاً: أسباب التمكين وشروطه في ضوء الآيات القرآنية:

من خلال استقراء الآيات القرآنية التي تناولت موضوع التمكين، يمكن استنباط أهم أسباب التمكين وشروطه، وهي:

١. الإيمان والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

فالإيمان والعمل الصالح هما الشرط الأساسي الأول في وعد الله -عز وجل- بالاستخلاف والتمكين.

٢. الصبر والتقوى:

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **[يوسف: ٩٠]**.

٣. العلم والحكمة:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ **[يوسف: ٢٢]**.

٤. الابتلاء والتمحيص:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ **[البقرة: ١٢٤]**، فالتمكين لا يأتي قبل التمحيص والتصفية؛ لتهيئة النفوس وتمييز الصفوف، والابتلاء سنة تمهيدية للتمكين، لا تعارضه، بل تهيئ له.

خامساً: نماذج من التمكين في قصص الأنبياء والصالحين:

التمكين لا يأتي دفعة واحدة، بل هو نتيجة سيرورة إيمانية وسلوكية طويلة، ومن أبرز النماذج القرآنية ما يلي:

١. تمكين يوسف عليه السلام: (انتقل من السجن إلى أعلى سلطة إدارية في مصر).

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦]، **فقد مكن الله ليوسف في الأرض بعد أن ابتلاه بالسجن والغربة، وجعله على خزائن الأرض، وأعطاه العلم والحكمة.**

٢. تمكين ذي القرنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]. **فقد مكن الله لذي القرنين في الأرض، وآتاه من كل شيء سببًا، فاستخدم هذا التمكين في نشر العدل ومساعدة المستضعفين.**

٣. تمكين سليمان عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، **فقد مكن الله لسليمان في الأرض، وأعطاه ملكًا عظيمًا، وسخر له الإنس والجن والطير.**

٤. تمكين بني إسرائيل بعد استضعافهم:

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

٥. تمكين الأمة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

كَمَا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]، **فقد وعد الله المؤمنين بالتمكين في الأرض إذا آمنوا وعملوا الصالحات.**

المبحث الثاني:

الدراسة التحليلية للآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾

أولاً: سياق الآية وموقعها في السورة:

تقع الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ في الربع الأخير من سورة الكهف، وهي الآية رقم ٩٥، وتأتي في سياق الحديث عن قصة ذي القرنين، ورحلته إلى ما بين السدين، حيث وجد قومًا لا يكادون يفقهون قولاً، وقد شكوا إليه فساد يأجوج ومأجوج في الأرض، وطلبوا منه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً، وعرضوا عليه خرجًا (أجراً أو مالاً) مقابل ذلك، فكان رده عليهم بقوله: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

والآية الكريمة تأتي في سياق بيان موقف ذي القرنين من عرض القوم، وكيف أنه رفض المال والأجر، وفضّل أن يستثمر ما مكنه الله تعالى فيه من قوة وسلطان في مساعدة هؤلاء القوم وحمايتهم من فساد يأجوج ومأجوج.

ثانياً: المعنى الإجمالي للآية:

من خلال أقوال المفسرين السابقة، يمكن استخلاص المعنى الإجمالي للآية الكريمة ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ على النحو التالي:

إن ذا القرنين هذا القائد الزاهد رفض المال والأجر الذي عرضه عليه القوم مقابل بناء السد، وأخبرهم أن ما أعطاه الله من القوة والسلطان والتمكين في الأرض خير وأفضل من المال الذي يعرضونه عليه. وطلب منهم بدلاً من ذلك أن يعينوه بقوتهم وأيديهم في بناء السد، وذلك بتوفير العمال والصناع الذين يحسنون البناء والعمل.

وهذا يدل على أن ذا القرنين كان يرى أن التمكين الذي منحه الله إياه هو نعمة تستوجب الشكر، وأن شكر هذه النعمة يكون باستخدامها في نفع الناس وإقامة العدل بينهم، وليس في

جمع المال والثروة[1].

ثالثًا: الدلالات التفسيرية للآية:

تحمل الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ عدة دلالات تفسيرية مهمة، منها:

١. إسناد التمكين إلى الله تعالى:

في قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾ إشارة إلى أن التمكين منحة إلهية وفضل من الله تعالى، وليس من كسب الإنسان وحده. وهذا يدل على أهمية شكر الله تعالى على نعمة التمكين، وعدم نسبتها إلى الذات أو الاغتراب بها.

٢. تفضيل التمكين على المال:

فالتمكين نعمة يجب توظيفها لا استغلالها، وفي قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ﴾ إشارة إلى أن التمكين الذي يمنحه الله لعباده أفضل وأنفع من المال والثروة، لأنه يمكن استثماره في تحقيق منافع أكبر وأعم للناس.

٣. التمكين وتوظيف الطاقات:

في طلب ذي القرنين من القوم أن يعينوه بقوة بدلاً من المال، إشارة إلى أن التمكين يرتبط بالمسؤولية تجاه الآخرين، وأن من أعطاه الله تعالى تمكينًا في الأرض يجب عليه أن يستخدمه في نفع الناس وحمايتهم من الفساد.

---

(١) انظر جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، (١٨/ ١١٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (١/ ٦٧٢)، دار القلم، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١/ ٤٨٦)، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس (١/ ٧٥٢)، دار النفائس، الأردن، الطبعة السابعة، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٤. التمكين وسيلة وليس غاية:

في رفض ذي القرنين للمال واكتفائه بما مكنه الله تعالى فيه، إشارة إلى أن التمكين وسيلة لتحقيق غايات نبيلة، وليس غاية في حد ذاته.

رابعًا العبر المستفادة من الآية:

من خلال التأمل في موقف ذي القرنين كما ورد في الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ تتجلى عدة عبر تربوية وأخلاقية وعقدية من أهمها:

١. رد الفضل إلى الله، وشكر نعمة التمكين:

من أهم العبر المستفادة من الآية الكريمة تواضع ذي القرنين الجمّ حين أرجع فضل التمكين إلى ربه لا إلى نفسه، كما قام بشكر الله تعالى على هذه النعمة، وذلك باستخدامها في طاعة الله -عز وجل- ونفع الناس.

٢. الزهد في المال والدنيا:

تعلمنا الآية الكريمة أهمية الزهد في المال والدنيا، وعدم جعلهما هدفًا في حد ذاتهما، بل وسيلة لتحقيق غايات أسمى.

٣. التكامل بين الحاكم والمحكوم، والتعاون على البر والتقوى:

في طلب ذي القرنين من القوم أن يعينوه بقوة، إشارة إلى أن إصلاح المجتمعات لا يتم إلا بالتعاون والتكامل بين القيادة والشعب، وأن العمل الجماعي أقدر على تحقيق المصالح العامة.

٤. استثمار التمكين في نفع الناس:

تعلمنا الآية الكريمة أهمية استثمار ما مكننا الله تعالى فيه من قوة وعلم ومال في نفع الناس وحمايتهم من الفساد، وهذا هو جوهر فكرة الوقف في الإسلام[١].

(١) انظر مزيدًا من التفصيل: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٤/ ٣٩١)، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

المبحث الثالث:

مفهوم الوقف وعلاقته بالتمكين

أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي للوقف:

الوقف في اللغة:

الوقف في اللغة يعني: الحبس عن التصرف، يقال: وقفت كذا أي حبسته، أو تصدقت به، أو أبدته، أي جعلته في سبيل الله إلى الأبد، وجمعه أوقاف. والوقف مصدر وقف الشيء وأوقفه، وحبسه وأحبسه بمعنى واحد، ويقال: وقف فلان أرضه وقفًا مؤبدًا إذا جعلها حبيسًا لا تُباع ولا تُورث[1].

وفي الحديث: "إن شئت حبست أصلها وسبّلت ثمرها"[2] أي: وقفها، وجعل منافعها لوجه الله عز وجل.

الوقف في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح الشرعي، فقد تعددت تعريفات الفقهاء للوقف، ومن أشهرها:

١. تعريف الجمهور: "تحبيس الأصل، وتسبيل المنفعة على بر أو قربة". والمراد بالأصل ما يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه.

---

(١) انظر لسان العرب: ابن منظور (٣/ ٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٩٨) رقم (٢٧٣٧)، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، ومسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري في: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٣/ ١٢٥٥)، رقم (١٦٣٢)، كتاب الوصية، باب الوقف، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢. تعريف الحنفية: "حبس المملوك عن التمليك من الغير"(١).

٣. تعريف المالكية: "إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازمًا بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً"(٢).

٤. تعريف الشافعية: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود"(٣).

٥. تعريف الحنابلة: "تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة"(٤).

والتعريف الجامع للوقف هو: "تحبيس الأصل، وتسبيل المنفعة على بر أو قربة بحيث يصرف ريعه إلى جهة بر تقربًا إلى الله تعالى"(٥).

أما في سياق الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، فالمقصود بالوقف: هو الردم أو السد الذي بناه ذو القرنين بين القوم وبين يأجوج ومأجوج.

(١) المبسوط: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (١٢/ ٢٧)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (٦/ ١٨)، دار الفكر الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٣) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (٢/ ٣٦٠)، دار الفكر، بيروت.

(٤) المغني لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (٦/ ٥)، مكتبة القاهرة.

(٥) انظر تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (٣/ ٣٢٥)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣ هـ.

ثانياً: مشروعية الوقف في الإسلام:

ثبتت مشروعية الوقف في الإسلام بالقرآن والسنة والإجماع:

١. من الكتاب:

لم يرد لفظ الوقف صراحة في القرآن الكريم، إلا أن معناه ودلالته وردت في عدة مواضع ، فقد وردت آيات كثيرة تحث على الإنفاق والصدقة، منها قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقول الله عز وجل: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

٢. من السنة:

وردت أحاديث كثيرة تدل على مشروعية الوقف، منها:

• حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "أصاب عمر بخيبر أرضًا، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: أصبت أرضًا لم أصب مالاً قط أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، فتصدق بها عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث وإنما هي صدقة في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقًا غير متمول فيه"[(١)].

• حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (٣/ ١٢٥٥)، رقم (١٦٣١)، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

والصدقة الجارية التي يبقى أجرها بعد الموت هي الوقف.

٣. الإجماع:

نُقل الإجماع على مشـروعية الوقف عن الصـحابة والتابعين وعن غير واحد من العلماء، منهم الترمذي الذي قال معلقًا على حديث ابن عمر السـابق في وقف عمر للأرض التي أصـابها بخيبر: "والعمل على هذا عند أهل العلم من أصـحاب النبي صـلى الله عليه وسـلم وغيرهم، لا نعلم بين المتقدمين منهم في ذلك اختلافًا في إجازة وقف الأرضين وغير ذلك"(١).

ويقول ابن قدامة في المغني: "وأجمع المسلمون على جواز الوقف، ولم يُنقل عن أحد من السلف إنكاره"(٢).

ثالثاً: أنواع الوقف وأحكامه(٣):

١. أنواع الوقف من حيث الجهة الموقوف عليها:

أ. الوقف الخيري:

وهو ما جعل ريعه ابتداءً على جهة من جهات البر والإحسـان، كطلاب العلم الفقراء، والمساكين، والمساجد، والمدارس، والمستشفيات، وغيرها من الأعمال الخيرية.

ب. الوقف الذري (الأهلي):

وهو ما جُعل ريعه على ذرية الواقف من بعده، ثم يؤول بعد انقراضـهم إلى جهة بر لا

(١) : سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (٣/ ٦٥١)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

(٢) المغني: لابن قدامة أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد (٥/ ٥٩٨)، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

(٣) انظر الموسوعة الفقيهة الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (٤٤/ ١٢٤)، الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

تنقطع.

ج. الوقف المشترك:

وهو ما جمع بين الوقف الخيري والوقف الذري، وتقسم منافعه بين الذرية والجهات الخيرية في آن واحد، أو بين أكثر من جهة خيرية في الوقت نفسه، كأن يقف شخص عقاراً ويجعل نصف ريعه لذريته والنصف الآخر للفقراء والمساكين.

٢. أنواع الوقف من حيث محل الوقف:

أ. وقف العقار:

كالأراضي والدور، والمساجد، والمدارس، وغيرها.

ب. وقف المنقول:

كالكتب والمصاحف، والأثاث، والسلاح، وغيرها.

ج. وقف النقود:

وهو وقف المال النقدي للإقراض أو للاستثمار وصرف ريعه في وجوه البر.

٣. أحكام الوقف:

أ. شروط الواقف:

شروط الواقف معتبرة شرعًا ما لم تخالف الشرع، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلمون على شروطهم"[١].

ب. ناظر الوقف:

ناظر الوقف هو المسؤول عن إدارة الوقف والإشراف عليه، ويشترط فيه العدالة

(١) أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في: سننه (٣/ ٣٠٤)، رقم (٣٥٩٤)، باب في الصلح، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، والترمذي في سننه (٣/ ٦٢٦)، رقم (١٣٥٢)، باب ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح بين الناس، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والكفاءة والقدرة على إدارة الوقف.

ج. مصارف الوقف:

تصرف غلة الوقف في الجهات التي حددها الواقف، فإن لم يحدد الواقف مصرفًا معينًا، صُرفت في وجوه البر والخير.

رابعاً: العلاقة بين التمكين والوقف في ضوء الآية الكريمة:

تتجلى العلاقة بين التمكين والوقف في ضوء الآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ في عدة أوجه:

١. التمكين سبب للوقف:

التمكين الذي يمنحه الله تعالى لعباده من القوة والسلطان والمال يمكن أن يكون سببًا للوقف، فمن مكنه الله تعالى في الأرض وآتاه من فضله، يمكنه أن يوقف جزءاً من ماله في سبيل الله، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أصاب أرضًا بخيبر، وكما فعل ذو القرنين حين امتنع عن أخذ الأجرة على بناء السد، لأن ما مكنه الله تعالى فيه كان كافيًا له.

٢. الوقف شكر لنعمة التمكين:

الوقف يمثل صورة من صور شكر نعمة التمكين، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. وكما أن المال يُشكر بالصدقة، فإن التمكين يُشكر بالوقف.

٣. التمكين والوقف وسيلتان لتحقيق التنمية المستدامة:

يمثل التمكين والوقف محركات أساسية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، حيث يعملان معًا على بناء مجتمعات أكثر قوة وعدالة واستدامة وازدهار، فالتمكين يمنح القوة والقدرة، والوقف يوجه هذه القوة والقدرة نحو تحقيق المصالح العامة.

٤. التمكين والوقف في قصة ذي القرنين:

تتجلى العلاقة بين التمكين والوقف في قصة ذي القرنين، فقد مكنه الله في الأرض وآتاه من كل شيء سببًا، فقدم نموذجًا فريدًا للقائد الصالح، حيث استخدم هذا التمكين في بناء السد الذي يحمي الناس من فساد يأجوج ومأجوج، وهذا يشبه الوقف في كونه استثماراً للتمكين في تحقيق المصالح العامة.

٥. التمكين والوقف في قول ذي القرنين:

في قول ذي القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ إشارة إلى أن التمكين الذي منحه الله إياه من (القوة، والسلطة، والمعرفة، والقدرة على الإنجاز، والتوفيق الإلهي) أثمن من المال الفاني الذي عرضه عليه القوم، وهو الأساس الحقيقي لتحقيق الإنجازات العظيمة ونفع الناس، وهذا يشبه الوقف في كونه تفضيلاً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن العلاقة بين التمكين والوقف هي علاقة ترابطية قوية ومتعددة الأوجه وليست علاقة تلازميه حتمية، بمعنى أن وجود أحدهما لا يستلزم حتمًا وجود الآخر، فالتمكين يُمثل الأساس والفرصة للوقف، والوقف يُمثل الشكر والاستثمار للتمكين، وكلاهما يعملان بتكامل لتحقيق التنمية المستدامة. هذه العلاقة تُبرز الوقف ليس فقط كعبادة لله تعالى، بل كممارسة اجتماعية واقتصادية استراتيجية تزيد من أثر التمكين وتوجهه نحو بناء مجتمعات أكثر ازدهاراً واستدامة.

خامساً: الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للوقف كثمرة للتمكين من خلال الآية الكريمة[١]:

إن الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للوقف كثمرة للتمكين تكتسب أهمية خاصة في عصرنا الحاضر، حيث تواجه المجتمعات الإسلامية والعالمية تحديات جمة في مجالات التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية والاقتصادية، والوقف بوصفه نظامًا حضاريًا عريقًا، يحمل في طياته حلولاً مبتكرة ومستدامة لكثير من هذه التحديات، ويقدم نموذجًا فريداً للتنمية الشاملة التي تجمع بين البعد الروحي والمادي، وبين المصلحة الفردية والجماعية.

وتظهر هذه الأهمية من خلال تحليل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للوقف من خلال منظور التمكين القرآني، وإبراز كيف يمكن لهذا النظام أن يُساهم في تحقيق التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية في المجتمعات المعاصرة، ويقدم رؤية مستقبلية لتطوير هذا النظام ليواكب متطلبات العصر الحديث.

وفيما يلي تحليل متكامل لأبرز الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للوقف كثمرة للتمكين من خلال الآية الكريمة:

أولاً: الأبعاد الاجتماعية:

١. الاستجابة لحاجة المجتمع المحلي وحمايته:

يوفر الوقف شبكة أمان اجتماعي للفئات الضعيفة في المجتمع، مما يضمن لهم حياة كريمة ويحميهم من الوقوع في براثن الفقر والحاجة، وهذا يعكس مبدأ المسؤولية الاجتماعية الذي ظهر في استجابة ذي القرنين لمشكلة القوم مع القوم المفسدين (يأجوج ومأجوج)، حيث طلب القوم من ذي القرنين بناء سدّ لحمايتهم من القوم المفسدين، ما

(١) انظر دور الوقف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية: مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية (٢٠٢٣م): .https: / /asjp.cerist.dz /en /article /219765

يُشـير إلى وعي مجتمعي بالخطر المشـترك ورغبة جماعية في الحماية، وهذا يعكس وجود عقد اجتماعي ضمني: الشعب يُقدم الدعم، والقيادة توفّر الحماية.

٢. المشاركة المجتمعية:

إن نظام الوقف يحقق مبدأ المشـاركة المجتمعية، والذي ظهر في طلب ذي القرنين المسـاعدة من القوم، قال تعالى على لسـان ذي القرنين ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، أي: طلب مشـاركة فعلية من الناس، فرغم امتلاكه للقوة والقدرة على إنجاز المهمة بمفرده، إلا أنه آثر إشـراك المجتمع في الحل، وهذا يعكس فهمًا متقدمًا لمبدأ التنمية التشـاركية والتمكين المجتمعي، وفي إشـارة إلى أن القائد الناجح هو من يُشـرك الناس في بناء مسـتقبلهم، ويدل ذلك على أن الأوقاف تُدار عادة من قبل مجتمع المستفيدين، أو ممثليهم، مما يضمن إشراك المجتمع في إدارة شؤونه وبناء قدراته المحلية.

٣. تحقيق التنمية البشرية:

يلعب الوقف دوراً مهمـًا في التنمية البشـرية، كما أن الأوقاف المهنية تسـاهم في تطوير المهارات المهنية والتقنية للشـباب، مما يمكنهم من الحصـول على فرص عمل أفضـل والمساهمة في التنمية الاقتصادية للمجتمع، وهذا يتماشى مع مبدأ الاستثمار في رأس المال البشـري الذي ظهر في طلب ذي القرنين المسـاعدة من القوم، حيث أنه لم يكتف بحل المشكلة بنفسه، بل سعى إلى تطوير قدرات المجتمع المحلي.

ثانيًا: الأبعاد الاقتصادية:

١. الاستثمار في البنية التحتية الأمنية:

السـد يمثل نوعًا من الاسـتثمار طويل الأجل لحماية موارد الأمة، والحماية من يأجوج ومأجوج تُمثّل منعـًا للهدر الاقتصـادي الناتج عن الفسـاد والتخريب، وفي هذا رسـالة مهمة توضح أن الوقاية أقل تكلفة من العلاج.

٢. توجيه رأس المال الاجتماعي بدل المال النقدي:

لم يطلب ذو القرنين منهم المال (الخرج) وإنما قال: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾، وطلب بدلًا من المال الجهد: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، أي أنه استثمر في العمل والجهد البشري، وهذا يمثل اقتصادًا قائمًا على: الطاقة البشرية، والمشاركة الشعبية. وبالتالي نتج عن ذلك خفض التكاليف من خلال العمل الجماعي.

التكامل بين الموارد البشرية والمادية:

لم يطلب ذو القرنين منهم المال (الخرج) وإنما قال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾، وطلب بدلًا من المال الجهد: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، ويدل ذلك على توجيه الموارد البشرية بدلاً من الاعتماد على الثروات فقط، مما يُظهر فهمًا عميقًا لاقتصاد العمل والإنتاج.

٣. تحقيق الكفاءة الاقتصادية باستخدام الموارد المحلية:

قال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، استخدم ذي القرنين الحديد والنحاس المذاب، المتوفرين غالبًا في البيئة المحيطة، ثم قام ببناء السد بطريقة تظهر فهمًا هندسيًا واقتصاديًا؛ إذ استخدم مواد قابلة للتصليب والمقاومة، وذلك يُشير إلى الاقتصاد القائم على الابتكار والاستفادة من الموارد المتاحة بأعلى كفاءة، وفيه إشارة أيضًا إلى: الاكتفاء الذاتي، واستغلال الموارد الطبيعية المتوفرة بكفاءة دون استيراد أو إسراف.

٤. التنمية المستدامة:

السد صُمّم ليبقى، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، وهذا يعكس: ديمومة الوقف، وأثرًا اقتصاديًا مستمرًا عبر الأجيال.

٥. تحقيق الأمن الاقتصادي:

الأمن من يأجوج ومأجوج هو حماية للثروة والإنتاج والمزارع والمساكن، وبذلك الوقف يضمن: استقرار السوق، ومنع الخسائر الناتجة عن الفوضى.

٦. نقل المجتمع من الاعتماد إلى الإنتاج:

فبدلًا من تقديم الحل كاملاً، أشركهم ذو القرنين في العمل: ﴿فَأَعِينُونِي﴾، وهذا يحقق تمكينًا اقتصاديًا، ونقل المجتمع من الاستهلاك إلى الإنتاج، وتعليم مهارات هندسية وتقنية قد تُستخدم لاحقًا في مشاريع أخرى.

الخاتمــة

تناول هذا البحث موضوع: العلاقة بين التمكين والوقف الخيري في قصة ذي القرنين: دراسة موضوعية، وبعد تأمل السياق القرآني للآية الكريمة، تبين أن هذه الآية تختزل رؤية قرآنية متكاملة لمفهوم التمكين، لا بوصفه مجرد تمكّن مادي أو سياسي، بل باعتباره أمانة ومسؤولية تستوجب ربط القدرة بالقيم، والقوة بالعدل، والإمكانات بالنية الصالحة والعمل النافع، فقد عبّر ذو القرنين عن وعي عميق بأن ما حصل له من تمكين هو من عند الله عز وجل، لا ثمرة ذاتية خالصة، وهذا الإدراك غيّر سلوكه من الاستئثار إلى التوظيف، ومن الهيمنة إلى الوقف والتسخير.

لقد أبرزت هذه الدراسة أن انتقال الخطاب من التمكين إلى الوقف في هذه الآية ليس انتقالًا لغويًّا فحسب، بل هو انتقال فكري وقيمي؛ فذو القرنين لم يجعل من تمكينه وسيلة للتسلط أو طلب الجزاء، بل جعله وقفًا لخدمة الخلق وإقامة العدل، وهو ما يعكس قمة الوعي الحضاري في توظيف السلطة والمنصب.

كما اتضح أن هذه الآية تمثل نموذجًا قرآنيًّا فريدًا يُقدّم صورة للحاكم أو القائد الذي يدرك أن كل ما في يده هو عارية مؤقتة، ينبغي أن تُسخّر للصالح العام.

ومن هنا، فإن مفهوم الوقف الذي تجلى في فعل ذي القرنين لا يقتصر على العطاء المالي، بل يشمل وقف الجهد والقدرة والنفوذ لخدمة الحق.

وبهذا، فإن التفسير الموضوعي لهذه الآية يكشف عن مبدأ قرآني عظيم، وهو أن التمكين الذي لا يتحول إلى وقفيةٍ نفعيةٍ خالصة لوجه الله عز وجل هو تمكين ناقص أو مُعرض للزوال، أما التمكين الذي يقترن بالوقف فهو الذي يثمر العمران، ويخلّد الذكر، ويحقق مراد الله في الأرض.

وقد توصل البحث من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: نتائج البحث:

١- التمكين حين يقترن بالوقف يتحول من سلطة إلى رسالة، ومن مصلحة فردية إلى مسؤولية مجتمعية.

٢- التمكين في القرآن الكريم هو منحة إلهية وفضل من الله تعالى، وليس من كسب الإنسان وحده، وهو يأتي في القرآن بصيغة الفعل المسند إلى الله عز وجل.

٣- يمكن التمييز بين صيغتين قرآنيتين من صيغ التمكين: التمكين للإنسان في الأرض، والتمكين للشيء (الدين، والقوة، والمال)، وبتضافر هذين المستويين تتحقق تكاملية عملية التمكين في بعديها المادي والروحي.

٤- من أهم أسباب التمكين وشروطه في ضوء الآيات القرآنية: الإيمان والعمل الصالح، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الصبر والتقوى، العلم والحكمة.

٥- بناء ذي القرنين للسد يُعد نموذجًا تطبيقيًا في اقتصاد التنمية الوقفية.

٦- من أهم الدلالات التفسيرية للآية: إسناد التمكين إلى الله تعالى، تفضيل التمكين على المال، ربط التمكين بالمسؤولية، التمكين وسيلة وليس غاية.

٧- الوقف في الاصطلاح الشرعي هو تحبيس الأصل، وتسبيل المنفعة على بر أو قربة بحيث يصرف ريعه إلى جهة بر تقربًا إلى الله عز وجل.

٨- يُعد الوقف أحد أعمدة التنمية المستدامة في الحضارة الإسلامية، إذ يجمع بين البعد

الروحي والاجتماعي والاقتصادي.

٩- العلاقة بين التمكين والوقف هي علاقة ترابطية قوية ومتعددة الأوجه وليست تلازميه حتمية.

١٠- تتجلى العلاقة بين التمكين والوقف في عدة أوجه: التمكين سبب للوقف، الوقف شكر لنعمة التمكين، التمكين والوقف وسيلتان لتحقيق التنمية، التمكين والوقف في قصة ذي القرنين، التمكين والوقف في قول ذي القرنين.

١١- التمكين هو أساس وفرصة للوقف الذي يُمثل شكرًا واستثمارًا استراتيجيًا له في تحقيق التنمية المستدامة والمصالح العامة.

١٢- إدارة المشاريع المجتمعية غير الربحية تحقق الأمن والاستقرار كأُسس للتنمية الاقتصادية.

١٣- للوقف أبعاد اجتماعية واقتصادية وثقافية وصحية وبيئية، وهو يسهم في تحقيق التنمية المستدامة في المجتمع.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

١-ضرورة تعزيز الوعي المجتمعي بمفهوم التمكين في القرآن الكريم، وأنه منحة إلهية تستوجب الشكر والعرفان.

٢-ضرورة تعزيز الوعي المجتمعي بأهمية الوقف ودوره في تحقيق التنمية المستدامة، من خلال وسائل الإعلام المختلفة والمؤسسات التعليمية والدينية.

٣-ضرورة تطوير الإطار التشريعي والقانوني للوقف، بما يضمن حمايته وتنميته واستثماره

وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

٤-ضـرورة تطوير آليات إدارة واسـتثمار الأموال الموقوفة، بما يضـمن تحقيق أعلى عائد ممكن، مع المحافظة على أصل الوقف.

٥-ضـرورة تنويع مجالات الوقف، بحيث تشـمل مختلف المجالات التنموية، كالتعليم والصحة، والإسكان، والبيئة، وغيرها.

٦-ضـرورة تعزيز التعاون الدولي في مجال الوقف، من خلال تبادل الخبرات والتجارب الناجحة، وإقامة المشاريع الوقفية المشتركة.

٧-ضـرورة الاسـتفادة من التكنولوجيا الحديثة في مجال الوقف، من خلال إنشـاء منصـات إلكترونية للوقف، وتطوير أنظمة إلكترونية لإدارة واستثمار الأموال الموقوفة.

٨-إجراء المزيد من الدراسات والبحوث حول العلاقة بين التمكين والوقف في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقاته المعاصرة.

٩-إجراء دراسـة مقارنة بين مفهوم التمكين في القرآن الكريم ومفهوم التمكين في الفكر الغربي المعاصر.

١٠- إجراء دراسة فقهية مقارنة لأحكام الوقف في المذاهب الإسلامية وتطبيقاتها المعاصرة.

نسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الفكر، بيروت.
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، عثمان بن علي بن محجن البارعين، فخر الدين الزيلعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣ هـ.
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (٤/ ٣٩١)، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- دور الوقف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية: مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية (٢٠٢٣م): https://asjp.cerist.dz/en/article/219765.
- سنن أبو داود، للإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المكتبة العصرية، صيد، بيروت.
- سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، الطبعة السابعة، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على بن منظور، دار صادر، بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
- المغرب: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم الخوارزمي المطرزي، دار الكتاب العربي.
- المغني: لابن قدامة أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، دار الفكر الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الموسوعة الفقيهة الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.
- موقع مودة الإلكتروني، مقال بعنوان "التمكين"، الرابط:

https://modoee.com/books/text/320_20190626071733.html

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار القلم، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص ٣٧١
المقدمـــة ٣٧٣
التمهـيد ٣٧٦
المبحث الأول: مفهوم التمكين في القرآن الكريم ٣٧٨
أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتمكين ٣٧٨
ثانيـًا: ورود مصطلح التمكين ومشتقاته في القرآن الكريم ٣٧٩
ثالثـًا: أنواع التمكين في القرآن الكريم ٣٨٠
رابعـًا: أسباب التمكين وشروطه في ضوء الآيات القرآنية ٣٨٢
خامسـًا: نماذج من التمكين في قصص الأنبياء والصالحين ٣٨٣
المبحث الثاني: الدراسة التحليلية للآية الكريمة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ٣٨٥
أولاً: سياق الآية وموقعها في السورة ٣٨٥
ثانيـًا: المعنى الإجمالي للآية ٣٨٥
ثالثًا: الدلالات التفسيرية للآية ٣٨٦
رابعًا العبر المستفادة من الآية ٣٨٧
المبحث الثالث: مفهوم الوقف وعلاقته بالتمكين ٣٨٨
أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي للوقف ٣٨٨
ثانيـًا: مشروعية الوقف في الإسلام ٣٩٠

ثالثًا: أنواع الوقف وأحكامه ٣٩١
رابعًا: العلاقة بين التمكين والوقف في ضوء الآية الكريمة ٣٩٣
خامسًا: الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للوقف كثمرة للتمكين من خلال الآية الكريمة..... ٣٩٥
الخاتمة:..... ٣٩٩
المصادر والمراجع ٤٠٣
فهرس موضوعات البحث ٤٠٥